في حدائق العرب

بمناسبة ما ذكرناه في اول هذا العدد عن تتويج ملوك الانكليز احببنا ان ننشر هذه الصفحات المطوية عن كيفية المبايعة عند العرب وعن الشارات الخاصة بالامارة

البَيعــة

البَيعة هي العهد على الطاعة ، كأنَّ المبايع يُعاهد اميره على انه يسلّم اليه النظر في امر نفسهِ وامور المسلمين لا ينازعهُ في شيءٍ من ذلك . ويطيعهُ في ما يكلفهُ بهِ من الامر المنشط والمكره . وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم في يده تأكيداً للعهد ، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري ، فسُمي بَيعةً مصدر باع ، وصارت البيعة مصافحةً بالايدي . هذا مدلولها في عرف اللغة ومدلول الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليهِ وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ . ومنهُ بيعة الخلفاء ، ومنهُ أيمان البيعة ، كأن الخلفاء يستحلفون على العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك ، فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة . . .

واما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل ، أُطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً لما كان هــذا الخضوع في التحية من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيهِ حتى صارت حقيقة عرفية واستُغني بها عن مصافحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل

شارات الملك

ان للسلطان شارات واحوالاً تقتضيهــا الابهة والبذخ فيختص بها ويتميز بانتحالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولتهِ ، والمشتهر منها :

الآلة — من شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الابواق والقرون

السرير — اما السرير والمنبر والتخت والكرسي فهو اعوادٌ منصوبة او ارائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعاً عن اهل مجلسهِ . ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول العجم ، وقد كانوا يجلسون على اسرّة من الذهب . وكان لسليمان بن داود كرسي وسرير من عاج مغشى بالذهب . الاَّ انهُ لا تأخذ بهِ الدول الاّ بعد الاستفحال والترف ، اما في اول الدولة عند البداوة فلا يتشوفون اليهِ . واول من اتخذه في الاسلام معاوية واستأذن الناس فيهِ وقال لهم : اني قد بدنت . فاذنوا له واتخذه . واتبعهُ الملوك الاسلاميون فيهِ وصار من منازع الابهة . ولقد كان عمرو بن العاص بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب ويأتيهِ المقوقس الى قصره ومعهُ سرير من الذهب محمول على الايدي لجلوسهِ شأن الملوك ، فيجلس عليهِ ، وهو امامه ، ولا يغيرون عليهِ وفاءً له بما اعتقد معهم من الذمة واطراحاً لأبهة الملك . ثمّ كان بعد ذلك لبني العباس وسائر ملوك الاسلام شرقاً وغرباً من الاسرّة والمنابر والتخوت ما غنى عن الاكثرة والقياصرة

السكة — وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بهـا بين الناس بطابع حديد يُنقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويُضرب بها على الدينار او الدرهم فتخرج الرسوم عليها ظاهرة مستقيمة ، بعد ان يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى . . . ولفظ السكة كان اسماً للطابع ، وهي الحديدة المتخذة لذلك ، ثم نقل الى اثرها وهي النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ، ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة ، فصار علماً عليها في عرف الدول ، وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة

الخاتم — وهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية ، والختم على الرسائل

والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام و بعده ، وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يكتب الى قيصر ، فقيل له ان العجم لا يقبلون كتاباً الاَّ ان يكون مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه « محمد رسول الله » . قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة اسطر وختم به وقال لا ينقش احدٌ مثله . وقد تختم به أبو بكر وعمر وعثمان

الطراز — من ابهة الملك والسلطان ومذاهب الدول ان تُرسم اسماؤهم او علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير والديباج او الابريسم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب ألحاماً وسدى بخيط الذهب او ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكم الصنّاع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم ، فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصداً للتنويه بلابسها من السلطان فمن دونه ، أو التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه اذا قصد تشريفه . . . وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم او أشكال وصور معينة لذلك . ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمائهم مع كلمات أخرى تجري مجرى الفال أو السجلات . . . وكانت الدور المعدة لنسج أثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز . وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز . . .

(باختصار عن ابن خلدون)

ألفرد ده موسّه

ALFRED de MUSSET

اذكريني كلما الفجرُ بدا فاتحاً للشمس قصرَ الذهبِ
واذكريني كلما الليلُ مضى راكضاً بين جنودِ الشهب
واذا ما صدركِ ارتجَّ على نَغَم اللذات وقت الطرب
او دعاكِ الظلُّ يا ميّ الى لذة الاحلام عند المغرب
فاسمعي من داخل الغابِ صدى صارخ فيهِ يناديكِ اذكري

اذكريني ان غدا صرف القدَرْ فاصلاً ما بيننا للأبدِ
يومَ لا تبقي الليالي والعبرْ من رجاء لفؤادي الكمد
واذكري حباً بهِ قلبي انفطر ووداعاً ذاب منهُ كبدي
واذا الحبُّ على القلب انتصر غلبَ البعد وطول الامد
وانا ما عشتُ يكفيني خبر منكِ والقلبُ يناديك اذكري

اذكريني عندما ألقى المنونا ويضمُّ الترب ذا القلب الكسيرْ
عندما تفتحُ للفجر الجفونا زهرةُ القفرِ على قبري الحقيرْ
لن تري من بعدها ذاك الحزينا انما نحوك روحي ستطير
وبها ابقى على العهد امينا جاعلاً حبك لي خير سمير
واسمعي من جانب القبر انينا هاتفاً في ظلمة الليل اذكري

هذه أبيات عرّبها عن الافرنسية حضرة الدكتور نقولا افندي فياض، ولا شك في ان هذه القصيدة عصرية الفكر واللهجة لأنها نُظمت سنة ١٨٤٢ وقد وضع لها ألحاناً تناسب معانيها الشجية بعض الموسيقيين

وأجمل هذه الألحان وأحبها الى عشاق البيانو والكمنجة — لأنها اكثر وقعاً في النفس — نغمة ابتكرها الموسيقي الافرنسي جورج روبيس

وناظم هذه الابيات بالفرنسوية هو الذي يسميه الفرنساويون «شاعر الشبيبة» . هو ذاك الذي لا ينساه ابداً من قرأه مرةً ، بل كلما قلب صفحات بعض الكتب الغزلية تعود اليهِ تلك المعاني البديعة ، والتعبيرات المحزنة التي تصدع القلوب ، فيكاد يرى ما بين يديه من القصائد ، اذا ما قابل بين هذه وتلك ، سبك اسجاع فارغة ، وتلاحم اصطلاحاتٍ لغوية وكتابية ثقيلة ، وثرثرة جالبة الصداع لفقدانها معاني العواطف ، وعجزها عن إظهار آثار الآلام الروحانية

يقلب القارئ صفحات الكتاب فتحول بين نظره والمجلد صورة الشاعر الفتى : رقة في الجسم ورقة في الشعور ، خيالات احلام متتابعة تجول في مياه العينين الصافيتين ، علامات الذكاء الوقاد مرسومة على الجبهة الجميلة تحت طيات الطرّة الذهبية ، وعلى الشفة تحوم شبه ابتسامة ، مزيج هيام ومرارة . . . .

هو فتى العذابات والدموع الذي عند ما تذكره يتبادر الى ذهنك اسما « بايرن » الانجليزي « وادجر ألن پوو » الأمريكاني . لأنّ في كتابات هؤلاء الثلاثة شيئاً من المشابهة والمقارنة ، وكثير من شعب تخيلاتهم تتلامس في سماء الغزل ، كما انك تجد في حياة كل منهم ظروفاً ومميزات تجعله أشبه بالآخر برغم سكناهم بلاداً تختلف باللغة والتقاليد

قيثارة ساحرة اوتارها العواطف ، وأغنيتها النوح ، وقرار هذا النوح

قروح القلب : شاعر الشبيبة في كل آن ومكان « ألفرد ده موسه » من لا يعرفهُ ولو بالإسم على الأقل ؟

ولد ألفرد ده موسه في باريس سنة ١٨١٠ وتلقن دروسه في مدرسة هنري الرابع حيث امتاز على سائر أترابه بحدة ذكائه وقوة شاعريته . وبعد خروجه من المدرسة اخذ يدرس الشريعة ثم الطب . لكن مشاكلات المهنة الأولى والمنافرات التي لا بدَّ منها فيها ، وشناعة التشريح وكراهته في المهنة الثانيـة احدثت نفوراً في روحهِ الشديدة التأثر فعدل عنهما ، وصار يمضي اكثر اوقاته في جنائن باريس وضواحيها حيث يختلي بذاته ويطلق العنان لتأملاته ويهيم ساعاتٍ طويلة في عالم الخيالات والأحلام

وكان اذ ذاك فريق من الأدباء والشعراء الافرنسيين قد ألفوا جمعية دعوها « سناكل » (Cénacle) الغرض منهـا العمل على ترقية الشعر وتسهيل بعض الصعوبات التي تقيد فكر الناظم وتحدّد حرية قلمه . وكان شاعر فرنسا الكبير « فكتور هوجو » رئيس تلك الجمعية . فدخلها موسه ولاقى فيها ما تتوق اليهِ نفسه من التحكك بمثل هذه النفوس السامية ، والعقول الراقية ، والقلوب الرقيقة . لاقى شعراء مثله ، وذكاء مثل ذكائه ، ومحاورات ادبية فنيةمفيدة ، واصدقاء يفهمونطبيعته واخلاقه ويقدرونها حققدرها ، بالنسبة لاشتياك مجانسات تخيلاتهم ومطالبهم . ولا شيء في الدنيا يشبه الروح الذكية اكثرمن روح اخرى ذكية ، والعكس بالعكس

دخل موسه في جمعية كان هو اصغر اعضائهـا سناً ، اذ لم يكن له من العمر سوى ثماني عشرة سنة ، فسعد حيناً . وكان الجميع يدعونهُ تحبباً

بنيامين او « الفتى الهائل » (l'Enfant Terrible) فكتب قصائده الاولى متقلداً فيها تارة الشاعر الافرنسي « اندره شنيه » ، وطوراً فكتور هوجو ذاتهُ ، وعرب في الوقت نفسه عن الانجليزية كتاب « تومس دوكانسي » المعنون « اعترافات أفيونيّ » (Confessions of an opium-eater)

ولما لم يكن والد الفتى الشاعر راضياً عن حياة ولده على هذه الكيفية التي لا فائدة منها — على زعمه — ، اراد ان يضعهُ في وظيفة تضمن له سعادة مستقبله المادية ، لكن ألفرد لم يرد تضحية حريتهِ العزيزة ، وإضعاف ذكائهِ الفريد ، واستعداداتهِ الادبية في مثل هذه الاشغال الاعتيادية . فابرز الى عالم القراءة مجموعة اشعاره الاولى ، وكان عمره نحو عشرين عاماً . فكان لظهور هذا الكتاب دوي عظيم بين ذوي الاقلام ، وانتقدتهُ الجرائد ، وذمهُ الناقدون وسخط على مؤلفهِ اعضاء الجمعية لانهم رأوا ان « بنيامينهم » شط عن الخطة المحدودة ، غير مبالٍ بقوانين النظم عندهم ، وهم لم يكونوا نفوا تماماً قواعد الشعر المدعو بالكلاسيك (classique) ، وكانت منظومات ده موسه تضرب كلها على نغمة جديدة (romantique) لم يسبقها تمهيد في تاريخ الآداب الفرنساوية . وقد اتبع هذه الخطة شعراء فرنسا مدة حتى آتى « ادمون روستان » فكان آخر هذه الفئة ، وزارع بذور الشعر الحالي الذي ينعتونه « بالمائل الى الزوال » (décadent) وذلك لان شعراء العصر يتصرفون بالافكار والتخيلات والاوزان والاسجاع بحرية لم يُسمع بمثلها من ذي قبل. وترى كثيرين يتعجبون كيف ضمّت الاكاديميا الفرنسوية الى اعضائها

منذ شهرين تقريباً أحد هؤلاء الشعراء ، وهو « هنري ده رنييه »

لم يبالِ ده موسه بالنقد والناقدين بل اكتفى برضى السيدات عن اشعاره ، واعجاب الشبيبة الفرنساوية بمنظوماتهِ . فانفصل عن اعضاء جمعيتهِ انفصالاً تاماً ، ولم تمضِ سنة حتى نشر قصيدة اخرى اتبعها بمنظومات متعددة ، لم يفهم قيمتها ابناء تلك الايام الاَّ القليلون منهم . ولما كان في الثالثة والعشرين من عمره اجتمع بالكاتبة الشهيرة جورج ساند ، وكانت هذه تكبره بخمس سنوات تقريباً ، وقد مثّلت هذه المرأة النابغة دوراً مهماً مؤلماً في حياة الفرد ده موسه ، وكان تأثير ذكرها في كتاباتهِ عظيماً جداً حتى انك تكاد لا تقرأ شيئاً مما كتبهُ بعد التقائهِ بها ، الاَّ وترى فيهِ رمزاً يدل عليها . تحكك ذكاؤه بذكائها ، وناهضت قواه الادبية قواها ، فاحدث هذا التحكك وهذه المناهضة ، بين هذين النابغتين ، شعلة محرقة ، كما يحدث في تلامس الاسلاك الكهربائية . وكادت هذه الشعلة تذهب بحياة الشاعر فادرك الخطر وابتعد عنها ابتعاداً كلياً (١٨٣٥) لكن ذكرها تبعهُ كيفما توجه . فنظم كتابهُ الى لامارتين (Lettre à Lamartine) ، ولياليه (Les Nuits) وهو يعنيها دائماً ، وهذه القصائد تعدُّ من ابدع وارقّ ما كُتب بالفرنساوية في هذا الباب

وكانت ايام الفرد ده موسه الأخيرة معذبة تعسة ، حتى سئم الحياة وأضحى ينتظر الموت بفروغ صبر ، وتراكمت الامراض على جسمه فاعيته وسحقت ، أو وزادت في سحق فؤاده . وظل على هذه الحال حتى وافاه القدر في سنة ١٨٥٩ ، فتوفي على أثر مرض في القلب ، ولا عجب ان يموت

شاعر القلوب من علة من قلبه . وآخر كلمات لفظها تدل على كثرة احزانه وكرهه الحياة اذ قال : « سأنام سأنام عن قريب والحمد لله ! »

وكانت الاكاديميا الفرنساوية انتخبته عضواً في سنة ١٨٤٢ كما أنه ظل سنين طويلة أمين خزانة الكتب في نظارة المعارف ، ولا يخفى ما في هذين المنصبين من الشرف الذي يتمناه كثيرون لأنفسهم ، لكن ألفرد ده موسه لم تكن تغره الظواهر الفارغة

وقد كتب ما عدا منظوماته البديعة — وكان معاصروه يتهمونه بنقلها من منظومات لورد بايرن الشاعر الانكليزي — مجلدات نثرية متعددة ، وروايات تشخيصية أجاد فيها . فادّعوا ايضاً انها مسروقة من كتابات أدجر ألن پوو الشاعر والكاتب الامركاني . وهذا شأن الحساد دائماً ، فهم يتهمون الممتاز عنهم بما يتصورونه ضده

لا ، ألفرد ده موسه لم ينقل عن أحد ، وأعظم فضيلة فيه كانت فضيلة الاخلاص . لكن حياة كل من هؤلاء الثلثة كانت تعسة جداً ، كأنه سبحانه تعالى يبخل بالماديات على الذين اغنام بالاديبات ، فان معظم الرجال الكبار كانت حياتهم مفعمة بالاوجاع المتنوعة ، مما لا تذوقه الارواح الاعتيادية ، والعقول الساذجة ، ولا عجب في ذلك

هذه نظرة عامة في حياة ناظم « اذكريني » . فافتكر به أيها القارئ ولو برهة ، وارثِ لحاله ، وقل معي : سلام عليك أيها الراقد تحت الصفصافة ! سلام ورحمة ! »

(مصر)　　مي

الزهور : سنقول كلمة عن الاديبة التي امتحنتنا بهذه المقالة في باب « ثمرات

المطابع» من هذا العدد . وبهذه المناسبة ننشر للقراء اياتاً نظمها الشاعر خليل افندي مطران وكتبها على الصفحة الاولى من ديوان شعر لموسه اهداه الى فتاة ادبية :

عاش هذا الفتى محبًّا شقيا وقضى نحبه محبًّا شقيا
وبكى دمع عينه في سطورٍ جعلته على المدى مبكيا
منشدٌ للغرام لم يشدُ إلاّ كان إنشادهُ نواحاً شجيًّا
شاعرٌ كان عمره بيت تشبيبٍ وكان الانين فيه الرويًّا
فاقرإي شرحَ حاله واعجبي من ذلك القلبِ كيف بات خليًّا
ان في نظمه لحساً لطيفاً باقياً منه في السطورِ خفيًّا
فاذرفي دمعةً عليه تعيدي ورقَ الطرس بالحياةِ نديا
وتثيري من روحه نسماتٍ وتفيحي منها عبيرًا ذكيا

الغناء العربي

في مصر

عبده الحمولى — رزىء الغناء العربي في مصر في اوائل الشهر الماضي بالمرحوم الشيخ يوسف المنيلاوي احد مشاهير المغنين الذين عاصروا عبده الحمولي واخذوا عنه [1]

كان الحمولي في مصر كما كان ابرهيم الموصلي في بغداد . كلاهما إمام المغنين في عصره . وكما التفَّ حول الموصلي جماعة ممن عاصروه فاخذوا

(١) اطلب الاسطوانات المدوَّنة فيها اصوات اشهر المغنين من شركة الجراموفون في القاهرة والاسكندرية The Gramophone Company, Ltd.